التربية والأولاد

التربية هي من الموضوعات التي توليها المنظمات الأهلية المحلية والدولية اهتماماً بالغاً اعتماداً على مقولة: إن الأولاد هم عماد الثروة المستقبلية التي تقوم عليها الأمم، لذا لا عجب أن يرقى موضوع (تربية الأطفال) إلى مكانة متميزة دولية عبر استخدامه معياراً دولياً تقاس به منزلة الأمم حاضراً، ومشعراً استشرافياً لمسيرتها نحو المستقبل.

ولا خلاف أن الحكم والأمثال والقصص الشعبية والحكايا الشائعة والنوادر، وغيرها مما يتداوله شعب ما، تساهم إلى حد كبير في تأسيس المنهج الفكري والرؤية الفردية والعامة التي ستنظر من خلالها الأجيال القادمة لشعب ما إلى نفسها، وإلى دورها في هذا الكون، وفي نظرها إلى طموحها وآمالها وآلامها.

من هنا يمكن لنا أن نفهم لماذا تُعَدُّ الأمثال الشعبية والحكم والحكايا التقليدية المتداولة بين الناس في ثقافة معينة، عنصراً هاماً من عناصر تقويم مكانة دولة ما مقارنة مع غيرها من الدول، لأنها تحسب من العوامل الأساسية في تشكيل الجيل القادم من الناس في هذه الدولة، ومن ثَمَّ يمكن أن نستقرئ أتكون هذه الدولة تسير نحو تطوير نفسها من خلال جيل متميز بالفكر والمنهج العقلي الذي يحمله، أم تكون ما تزال تتوارث الأفكار بقضها وقضيضها وبغثها وسمينها دون مراجعة لما حملته هذه الأمثال من الأشياء التي وجب الوقوف عندها قبل البدء بتوريثها ونقلها عبر الأجيال؟

عندما انطلقنا في تجربتنا هذه كما ورد في المقدمة في ترك الحبل على الغارب لألسنتنا، قمنا بداية بوضع معيارين اثنين نقوم من خلالهما المثل أو الحكمة أو القصة؛ أولهما: موافقة الألفاظ الواردة فيها لأدب الخطاب،

وثانيهما: مدى نجاعتها في إرساء مبادئ إيجابية نفسية وعقلية وتربوية وتثقيفية وإنسانية عامة، وغيرها من المبادئ المهمة في تربية الأولاد.

هذان المقياسان هما نوع من الغربلة السريعة التي يمكن القيام بها بغية تجنب تكرار بعض الأمثال التي لا تخدم التربية، بل قد تكون هدامة تماماً لنفسية الطفل وتطوره، وبالمقابل تكرار النافع منها ليكون سنداً متيناً في نشوء الجيل القادم.

كانت المفاجأة الكبرى لنا في الكم الهائل من المخلفات والترسبات والكلام المتوارث باللاوعي، الذي خرج بالسليقة ويخالف تماماً هذين المعيارين، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أمرين مهمين: الأول التغلغل العميق لبعض الأمثال السلبية في ثقافتنا اليومية بحيث أصبحت جزءاً لا يتجزأ من اللاوعي، والثاني: أن عملية تطوير الذات وإعادة التقويم لطريقة النظر إلى الأمور، التي قمنا بها أثناء وجودنا في مجتمعات غربية أخرى، لم تجدِ نفعاً في محو هذا الكم من الترسبات، والذي بقي كامناً في اللاوعي وخرج فور السماح له بذلك.

إننا عندما نطلق مثلاً أو حكمة شعبية، وما شاكلهما، فإننا أحياناً نضع حداً لحديث الطفل أو تساؤله بإعطاء زبدة الأمر، وكأن هذا المثل منزَّل، أو أنه أحد المقدسات التي لا يمكن المساس بها، أو بدهية لا يرقى الشك إليها، وهذا ما لا نريد أن ننقله إلى الأجيال.

إن كثرة تلك الأمثال تدل على منطق قتل الحجة وثقافة الاختصار؛ فالأمثال في قسم كبير منها تصنيم حرفي للمفاهيم.

قيل: "**طب القدرة على تمَّا بتطلع البنت لأمَّا**" (القدرة هي القدر التي يحتفظ بالماء داخلها، تمَّا أي فمها، وأمَّا أي أمها)، وفي سياق آخر قيل: "**من شابه أباه ماظلم**".

وهو تعميم لا ينطبق مئة بالمئة، لكن المثل الشعبي جعله حقيقة لا يرقى إليها الشك.

وقيل: "**من خلف ما مات**".

والحياة مليئة بخلف أساء إلى السلف لدرجة إعلان براءة السلف من هذا الخلف، إلا إذا أريد بأن من خلف لم يمت من الناحية الفيزيولوجية البحتة في التوالد، وهذا ما لم يقصده المثل.

وقيل بالمقابل: "**وردة بتخلف شوكة وشوكة بتخلف وردة**".

وهي أقرب للواقع لكن لا يمكن تعميمها أيضاً.

تمحيص وفرز

لو استعرضنا كل ما يرد من أمثال توجه إلى الطفل في مختلف مراحل عمره نجد أن فيها السلبي المرفوض، وفيها بالمقابل حظاً وفيراً من الأمثال الإيجابية، لكن التكوين العام لشخصية الطفل يجعلها لا تتأثر فقط بالجيد من الكلام، فهي تتكون أيضاً من خلال كل ما ينطق به اللسان بسلبه وإيجابه.

فمثلاً حين يذكر أمام الطفل مَثَلٌ من نمط:

"**معك قرش بتسوى قرش**" (بتسوى أي قيمتك).

هذا النوع من الأمثال لا يركز إلا على المعنى المادي للأشياء، وهي أبعد من مجرد كلمات، فهي تدخل في الوعي وتنعكس في التصرفات فيما بعد.

وقيل: "**بطيختين بالإيد ما بينحملو**".

ربما قبلنا بهذا المثل في بداية القرن العشرين بأدواته المحدودة، لكن لا يمكننا الاستمرار في استخدامه في وقتنا الحالي مع كل هذه التقنيات المتوافرة، وأدوات العصر المنتشرة، والمعرفة المشاع، وانتشار مبادئ تنظيم الوقت وفنون إيجاد الحلول والعمل الجماعي وتوزيع العمل والاختصاص، لذا تسقط هذه الأمثال بعصر أدواته ذات غنى ووفرة، ومن ثمَّ يمكن القول أن هذا

العصر يحمل مفهوماً مقابلاً للمثل السابق بأن الإنسان يمكن أن يجر عربة مليئة بالبطيخ بيد واحدة.

وقيل أيضاً في هذا السياق: "**يلي بتكتر كاراتو بتقل باراتو**" (كاراتو أي الأعمال التي يمتهنها، وباراتو: أي قروشه وأمواله).

إننا في عصرنا الحالي ندعو الأجيال القادمة إلى تعدد الاختصاصات والتنوع في المعرفة والإكثار من الاطلاع، وبالأخص أننا في عصر المعلومة التي هي بمتناول الجميع. فكلما اتسعت معارف الشخص واختصاصاته ارتفعت مكانته وازداد الطلب عليه، على عكس المثل السابق.

وفي نواح أخرى تربوية نجد أن المثل يقول:

"**بدَّك الصّراحة ولَّا ابن عمَّا**" (ابن عمَّا أي ابن عمها).

وهذا مثل يوحي للأبناء بأنه مصرح لهم أن يكونوا بين خيارين إما الكذب وإما الصراحة، وهو خطأ تربوي خطير.

ونجد أن أمثالاً من نوع:

"**متل الزبدية الصيني من وين ما رنِّيتها بترنّ**".

أو "**مسبِّع الكارات**".

هو نوع من أمثال المديح الإيجابي المناسبة تماماً للغة العصر.

لقد تناولت الأمثال التربية في معظم الحالات بإيجابية وبمسؤولية، وفي حالات أخرى بسلبية؛ فمثلاً: الضرب غير مرغوب فيه في أساليب التربية الحديثة، لكننا نرى أن المثل الشعبي يقول:

"**اضرب ولدك واحسن أدبو ما بموت ليخلص أجلو**" (أجلو أي أجله، وأدبو أي أدبه).

من الضرورة بمكان الوقوف عند كل مثل للتأكد من خلوه من كل ما يدعو الجيل القادم إلى الانكفاء أو الإحباط أو التفكير أحادي الاتجاه، وأن نشجع

على الأمثال التي تدعو إلى الحركة الإيجابية سواء على المستوى الشخصي أو على مستوى المجتمع، وذلك للنهوض بهذا الجيل نحو الأفضل.

وجهاً لوجه مع التراث الكلامي الشعبي

لا بد أن نقف وجهاً لوجه مع ما يخرج من مكنونات النفس واللاوعي من ألفاظ وأمثال وتشبيهات كي ندرك مدى خطورة بعض ما يقال على المدى البعيد.

لقد أكثر التراث الكلامي من استعمال ألفاظ سلبية وصف بها الأبناء في أحوالهم المختلفة:

فقد وصف الطفل كثير الحركة بـ: "**قرد ملفلف**"، أو: "**شاقق الأرض وطالع**"،أو: "**بيمشي على المكلَّس**" (المكلس أي الحيطان بدل الأرض من كثرة حركته)، ووصفت الابنة كثيرة الكلام بـ: "**مدهرنة**"، فإن كانت سكوتة أصبحت "**سلَّالة**" أو "**سرنوِّة**".

أما الطفل المتأخر بدراسته عن أقرانه فقيل عنه: "**ما بيعرف الخمسة من الطمسة ولا الألف من دكّ البستان**"، أو: "**مابيعرف كوعو من بوعو**"، أو: "**طلطميس**". والطفل ذو الضحكة الرنانة قيل عنه: "**ضحكة عنزة على باب المسلخ**"، ولمن يبدي رأيه من الأبناء قيل له: "**مو ناقص علينا إلا أصابيع رجلينا**". فإن تشاكس طفلان يقال: "**بيتحركش بالحمَّى لتجيه البرديِّة**".

أما الطفلة النحيلة فقد وصفت بـ: "**عصاية طقِّي**"، والطفل ضعيف الصحة: "**عم ياكل من زيت الجامع**"، فإن كانت البنت مجادلة وتحاول دعم كلامها بالحجة أصبحت "**شاضومة**"، فإن كانت كثيرة الحركة قيل عنها: "**متل الخنفسة بالطاسة**".

ووصف الطفل قليل المساعدة لوالديه بـ: "**ما منَّك خير دخَّانك بيعمي**"، فإن أحكمت الحجة على طفل أو ضُرب، وصف حاله بأنه: "**متل الأملة المفروكة**" (الأملة من القمل)، أما البطيء بالمشي فوصف بأنه: "**عم يمشي على بيض**".

ونرى أن الأمثال التي تمنع الأولاد من النضج الفكري الباكر، وتقتل العبقرية في مهدها، قد تعددت وتنوعت وتفننت، فقيل: "**الولد ولد ولو صار قاضي بلد**"، والبنت ذات الصوت العالي الجهوري: "**قدها قد الفارة وصوتا معبِّي الحارة**"، وللطفل المخالف لرأي الأهل: "**سنجق عرض**"، أو: "**بِنطّ متل حمِّصْة الكيّ**".

ووصف الطفل الذي قد يخطئ بالكلام: "**عم يخبِّص بالفصَّة**"، والذي يحاول مجاراة الكبار بنضج لإبداء الرأي قيل عنه: "**كبرت البيتنجانة ودندلت جراسها ونسيت قفِّة الطين يلِّي كانت على راسها**" (البيتنجانة هي الباذنجان)، ولمن يحاول التدخل في أحاديث الكبار وإبداء رأيه فيها قيل له: "**إجو ليحدو الحصان فمدِّت الخنفسة رجلها**"، ووصف الطفل الواثق من نفسه: "**قايس حالو بالمسطرة**" (حالو أي نفسه)، أو: "**شامم ريحة تحت باطو**"، وذو الحواس المرهفة: "**عينو بالطبق وإدنو لمن زعق**" (إدنو أي أذنه)، وللطفل الفضولي: "**قالو لكتير الغلبة نص الدنيا إلك فقال: والنص التاني لمين؟**".

لقد تناولت الأمثال الأطفال حتى في طعامهم وشرابهم بالسخرية؛ فقيل عن الطفل المحب لكل أنواع الطعام: "**سكِّينتو مطابخية**"، أما البسيط في تعامله مع الأشياء والطعام: "**نفسو قاطعة**"، ولمن يبدي تحفظه على بعض الأطعمة: "**متل البزَّاقة بتقرَف وبتقرِّف**".

وفي حالات التنبيه والتحذير وتعليم الأولاد، كانت الأمثال مخيِّبة في معظمها، فمثلاً لتنبيه الطفل على عدم تكرار الخطأ يقال له: "**الحمار إن وقع بجورة ببطِّل يمر ناحها**" (الجورة هي الحفرة في الأرض).

ولم تشجع بعض الأمثال المهارات الذاتية للأطفال، فالطفل الذي يريد حرق المراحل قيل عنه: "**بنطّ من القفِّة لأدانها**" (القفة هي الوعاء من القش أو السلة مصنوعة من القش، وأدانها أي أذنيها)، والطفل المبدع: "**عم يطرِّز الفنّ**"، ولنقد الصغير: "**أصغر ما فينا بزمِّر بالياقطينا**".

وتنوعت الأمثال في وصفها بشكل سلبي صارخ لمعظم حالات الأطفال اليومية، فإن قصّر يقال له: "**بينصرّ عليك**"، وللطفل المشاكس: "**اربط الجدي بالعامود**"، ولمن يصاب كثيراً بالجروح: "**جمل معأور**"، أما الطفل المدلل فيقال عنه: "**جحا مو معود على شد الزربول**"، والطفل غير المرغوب بحضوره في الجلسة: "**الأرض مسكونة**"، ولمن لا يراد له الكلام والتعبير: "**زاد في الطنبور نغماً**"، ولمن يصرُّ على رأيه: "**دنب الكلب أعوج ولو حطّوه بقالب**"، أو: "**دق الميّ وهيّ مي**".

وقيل للصغير المقرب المحبوب: "**فارة الطحين**"، وحين ينام الطفل المشاكس يقال: "**نوم الظالمين عبادة**"، ولمن استحق العقاب: "**جاجة حفرت، على راسا عفرت**" (راسا أي رأسها)، ولمن يخرج بفكرة مبتكرة: "**الحجر يلّي ما بيعجبك بفجّك**" (بفجّك أي يحدث جرحاً في رأسك)، أو: "**لا تاخذ الرفسة القوية إلا من الحمار الضعيف**".

ومن تنوع الأمثال أيضاً أن الطفل الذي آذى طفلاً آخر يقال له: "**يلّي بلاعب القط بدو يلقى خراميشو**"، ولقليل الكلام: "**لسانو آكلو القط**"، وللطفل الباكي: "**دموع التماسيح**"، أما الطفل المسالم فوصف بأن: "**القط بياكل عشاه**".

وتناولت الأمثال أفضلية الأولاد أيضاً فأشارت إلى أفضلية الولد لدى الأهل بالقول: "**القرد بعين أمو غزال**" (أمو أي أمه)، ولأفضلية البنت: "**خنفسة شافت بنتها على الحيط قالت: تقبريني متل اللولية بالخيط**"، ولمن يأكل بنهم: "**ياشهدا ياسعدا**"، وللطفل كثير الذكاء: "**إذا بتبلك إبليس بيخسر عليك**" (بتبلك: التتبيل هو خلط مكونات أكلة ما، مثل السلطة أو غيرها)، وفي تكرار الطلب من الولد دون إجابة يقال للطفل: "**طلع على لساني شعر**"، أو: "**انبرا لساني**" (انبرا من البري أو البرّاية كما تفعل بقلم الرصاص)، وأما الطفل المطيع فلم ينج من الأمثال السلبية فقيل له: "**بوس أيادي وضحك على**

اللِّحا"، ومن يكابر من الأطفال على ألم أو برد يقال: "**عم يكابر بالمحسوس**" انتقاداً له.

وطالت الأمثال أيضاً بسلبيتها صفات تتعلق بالفيزيولوجية التركيبية للطفل، فوصفت جسمه بألفاظ موغلة بالأذى: فرجل الطفل أو يده "**مكسورته**"، ورأسه "**بطيخة**" أو "**صندوق بويا**"، وشعره "**كبّاش**"، وفمه "**باجوق**"، والعيون الصغيرة "**خبصة بالعجين**"، والعيون الكبيرة "**عيون البقر**"، والابتسامة "**تشنيكة**"، والبطن "**كرش**"، والأذن "**اِدن طين اِدن عجين**" لمن لا يسمع الكلام أو يقال له: "**دهليز أدانك طولان**".

كما نجد أن الأمثال تفننت بأساليب الدعاء على الأبناء:

فقد قيل:

- "**درب يلّي يسد ما يرد**".
- "**تعلّم العصي بجنابك**".
- "**لا يقيم الشدّة من على قلبك**".
- "**قرد ينتعك**".
- "**يحلى وبرك**".
- "**ولي على قامتك**".
- "**ولي على عيونك**".
- "**يحطّو حطامك قدّامك**".
- "**تنقال قوالك وتنخفى أفعالك**".
- "**تنباع بالعزا**".
- "**سم الكرّاتي**".

- "لخلّيك عبرة لكل مين اعتبر وساوي جلدك دربكات للنَّوَرْ".
- "يلي بيعمل بإيدو الله يزيدو".
- "يقعد رزّك وينخفى حسّك".
- "ونعامة ترفسك".
- "سم الموت".
- "سم الهاري".
- "بدعي على ولدي وبدعي على يلّي بقول آمين".
- "بحفض القرد".
- "ينكت كرارك".
- "يبعتلك حمّى بسبع شطلات".
- "تمّحق".
- "تروح دعس" أو "تروح فرم" أو "تروح فقي".
- "يطلع بلعك".
- "يجيبوك محمَّل".
- "يبلبص عيونك".
- "ومعلاق".

بالنظر إلى ما سبق نجد أن الأمثال لم تدع نوعاً من أنواع الحشرات أو الحيوانات إلا ووصفت بها الأطفال، كذلك لم تدع نوعاً من أنواع المفرزات البشرية إلا وأدخلتها في تلك الأمثال، وهذا فيه امتهان لإنسانية الطفل، وفيه من الإذلال ما يجعل عتبة إحساسه تنخفض مع الأيام، فتقبل بهذه الإهانات من حلقات المجتمع الأخرى، مما يكرس النفس المقهورة والمتقبلة لما يلقى لها، وتغذي ثقافات أخرى هدامة اجتماعياً سنتحدث عنها لاحقاً.

كنوز التراث التربوي

كل ماسبق لا يعني بأن الأمثال كانت سلبية بكليتها، بل هناك نواح إيجابية يجب التركيز عليها وحفظها من الضياع، فقد تناول التراث الكلامي في أحيان كثيرة التربية بمسؤولية، فكانت الأمثال تأتي كحكم منمقة حاملة خلاصة تجارب إنسانية رائعة تناقلتها الأجيال منذ قديم الأزل.

تناولت الأمثال مرحلة المراهقة بمسؤولية، وهي مرحلة تحدث فيها الهرموناتُ، ورحلةُ البحث عن الذات والهوية، وضغوطُ التحدي، فوضى عارمةً في روح وشخصية المراهق، وهي في الوقت ذاته تخلق تحدياً لصبر الآباء وشجاعتهم وإبداعهم في مواجهة مواضيع يفرضها ذلك الواقع الجديد.

فقيل مثلاً: "**إذا كبر إبنك خاويه**" (خاويه أي كن أخاً له).

مثل هذه الأمثال تشجع ثقافة التواصل بين الأجيال التي تفيد في بناء شخصية مستقلة للأبناء، وتزودهم بالقدرة على بناء علاقات سليمة سواء مع آبائهم أو مع الآخرين.

وقيل: "**المربَّى غالي**".

إشارة إلى ثقل المهمة التي يدرك الآباء والأمهات أهميتها، وكيف يجهدون للوصول بالأولاد إلى أعلى درجات الرقي والمسؤولية، ويزرعون بذور الخير ويحقنون جرعات الخلق الحسن والتربية الصحيحة محاولين تكوين وجدانهم ليكونوا قادرين على مواجهة مواقف الحياة وصعوباتها.

وقيل: "**الصاحب ساحب**".

فقد أدرك الآباء أهمية التأكد من نوعية الأصدقاء المحيطين بأبنائهم لأنهم سيكونون على شاكلتهم ،وسمَّوا أصدقاء السوء بـ: "**ولاد آدو**".

ولقد عبر الآباء عبر التراث الكلامي عن الصعوبات التي تواجههم في مراحل التربية المختلفة وكيف تعاملوا معها، فقد قيل:

"**ربيتو كل شبر بندر**" (ربيتو أي ربيته وندر هو النذر).

وقيل: "**مشينا لحفينا وبكينا لعمينا**".

وقيل: "**الولاد بدهن خير وحيل وأم ما تنام الليل**".

وقد زخرت الأمثال بالنصائح القيّمة التي تناقلتها الأجيال والتي كانت تزرع قيماً إيجابية منتجة صحية، فقد قيل في العادات الصحية: "**نام بكير وفيق بكير وشوف الصحة كيف بتصير**"(فيق أي استيقظ)، وفي الكذب: "**الكذب حبلو قصير**"، أو: "**الكذب ما لو رجلين**"، وفي حكَم الحياة: "**زْعال لمين يضحكك وضحاك لمين يبكيك**"، أو قيل: "**أكبر منك بشهر أعرف منك بدهر**"، وفي التعلم: "**العلم في الصغر كالنقش في الحجر**"، وفي أسلوب الخطاب: "**الملافظ سعادة والحكي أوهاب**"، وعن رضا الأهل: "**رضا الأب من رضا الرب**".

أما في الأنفة وعزة النفس فقيل: "**لاتتقل على حضن أمك وأبوك بيكرهوك**" (تتقل أي من الثقل)، وفي القرابة ورعايتها: "**الدم مابيصير مي**"، وفي قيمة الإنسان بذاته: "**يا أبي شرفني قال ليموت مين يعرفني ليموتو كبارية الحارة برجع على ظهر الحمارة**" (كبارية الحارة أي أكابر الحارة قدراً وعمراً)، أو: "**يلي ما بتزينو عروقو ما بتزينو خروقو**" (خروقو أي الثياب التي يلبسها).

كذلك عملت الأمثال على تقريب الإخوة بعضهم من بعض وزرع الحب بينهم، فقيل: "**الواعة الكبيرة بتسع الواعة الصغيرة**" (الواعة أي الوعاء)، وفي التشجيع على ضمان المستقبل بالعمل وتنمية المهارات قيل: "**صنعة باليد أمان من الفقر**"، وفي أصول التعامل مع الآخرين: "**متل ما تعامل تعامل**".

كذلك وصفت الأمثال طهارة البنات وأخلاقهن العالية فقيل: "**ما باس تمها غير أمها**" (تمها أي فمها)، وفي إيثار الآباء للأبناء: "**إذا ابني بخير أنا بخير**"، وفي المساواة بين الأبناء: "**يلي بفضل ولد على ولد ببوسة إلو بجهنم دوسة**"، وفي الأمور الوراثية: "**الولد إن بار تلتينو للخال**"، أو: "**الخالة ولادة**"، أو:

"خدو البنات من صدور العمات"، وفي أهمية الأم: **"من بعد الأم حفير وطم"**، أو: **"الأم بتلم"**، وفي عزوة الآباء: **"إن مات أبوك على المراتب حطُّوك وإن ماتت أمك على المزابل كبُّوك"**.

وكان للأدعية للأولاد نصيب أيضاً في الأمثال، فقد قيل:

- **"مطرح ما يسري يمري ومطرح ما يأسس يبني"**.
- **"الله يحبب فيك خلقو"**.
- **"دربك خضرا"**.
- **"تمسك التراب يقلب دهب"**.
- **"يلَبْسَك توب العافية"**.
- **"يفتح عليك أبواب رزقو"**.
- **"يجعلّك بكل خطوة سلامة"**.
- **"الله يطّلّع بوجهك"**.
- **"يبحبح رزقك"**.

وبعد:

فإن الأبناء هم مزيج جسد وروح وعقل، ولكل جزء من هذه الأجزاء حاجته التي لابد أن تسد ثغرتها بما يناسبها، ولا بد لنا - نحن الآباء - أن نرقى إلى تلك المسؤولية كي لا تطالهم الأيدي العطنة فتسد الثغرة بما يضرها، وعندها لاينفع الندم بعد فوات الأوان.

إن دورنا لا يقتصر على التمني، فكل كلمة ننطق بها تزرع بذرة في أرضهم الغضة فإن كانت كلمة طيبة فستثمر شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، وإن كانت كلمة عطنة فستغدو شجرة فاسدة ما لها من قرار.

من المهم أن نسعى إلى مسح شامل للموروث الكلامي الذي بات جزءاً من تركيبتنا الواعية وغير الواعية، فنبقي على الجيد، ونقصي كل كلمة هدامة تدفع بالأولاد نحو الأسوأ.

يقول عبد التواب يوسف: " ثقافة الطفل هي خليط مما يرثه عن أبويه وأسرته، وما يصله من عادات وتقاليد، وما يكتسبه من معرفة وعلم، وما يتأثر به من فنون، وما يمارسه منها، وما يعتقد فيه ويؤمن به، وما يتصف به من خلق، وما تتميز به شخصيته من ملامح، وكل ما يسود مجتمعه من أفكار وآراء وقوانين، وما يشيع فيه من ثقافة عامة "(١).

من المهم أيضاً أن نشعر أبناءنا بأهميتهم وأهمية آرائهم، وإمضاء الوقت معهم وإشراكهم في وضع قوانين المنزل، وتشجيعهم على أن يتخذوا قراراتهم بأنفسهم، وهذا سيؤتي ثماره لاحقاً حين يجد الآباء أنفسهم أمام شخص متكامل الشخصية قادر على اتخاذ القرار السليم.

ولا ننس أخيراً أن مهمتنا ومسؤولياتنا تتجاوز حدود نقل الإرث الأخلاقي والديني والكلامي لهم، بل تتعداها إلى أن تكون حياتنا مثلاً ناطقاً ومرئياً أمامهم.

قال المعري:

مشى الطاووس يوماً باعوجاج فقلَّد شكل مشيته بنوهُ
فقال: علام تختالون؟ فقالوا: بدأت به ونحن مقلدوهُ
فخالِفْ سيرَكَ المعوج واعدل فإنا...إن عدلت معدِّلوهُ
أما تدري أبانا كُلُّ فرع يجاري بالخطا من أدبوهُ؟
وينشأ ناشئ الفتيان مِنا على ماكان عوده أبوهُ

إن مسؤوليتنا - نحن الآباء - تتجاوز حدود حاجات أولادنا المادية والمعنوية، لنضم إلى تلك الدائرة جزءاً كبيراً من حياتنا وقراراتنا، فلا يمكن

(١) تنمية ثقافة الطفل، ص ٢٦.

للأبناء اتخاذ القرارات الصعبة، وتتقاصر بصيرتهم لضيق تجربتهم فلا يملكون سداد الرأي في سنيهم الغضة، فالأبناء - والحال هذه - يفوضون الآباء ضمنياً بفعل كل ذلك نيابة عنهم، وهنا تكبر مسؤوليتنا وتثقل أماناتنا، فمن علَّم وعمل استطاع أن يكون أهلاً لتلك المسؤولية، وأمكنه بذلك توجيه الدفة في الوجهة السليمة.